تفسير كلّ آية بجملة

﴿٥٨﴾- واذكروا - يا بني إسرائيل - حين قلنا لكم: أُدخلوا المدينة الكبيرة التي ذكرها لكم موسى نبيّكم، فكلوا ممّا فيها كما تشاؤون رزقًا كثيرًا واسعًا، على أن يكون دخولكم بخشوع وخضوع من الباب الذي سمّاه لكم نبيّكم، وقولوا حِطّة أي اسألوا الله أن يحطّ عنكم ذنوبكم وخطاياكم، فمن يفعل ذلك بإخلاص يُغفر له، ومن كان محسنًا مطيعًا زدناه ثوابًا وتكريمًا فوق العفو والمغفرة.

﴿٥٩﴾- ولكنّ الذين ظلموا منكم خالفوا أمر ربّهم، فقالوا غير ما أمرهم بقوله، استهزاءً وتمرّدًا، فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين عذابًا من فوقهم، جزاءَ فسقهم وخروجهم عن أوامر ربّهم.

﴿٦٠﴾- واذكروا - يا بني إسرائيل - يوم طلب نبيّكم موسى السُقيا لكم من ربّه حين اشتدّ بكم العطش في التّيه، فرحمناكم وقلنا لموسى: اضرب بعصاك الحجر. فانفجر الماء من اثنتي عشرة عينًا، فصار لكلّ جماعة عين - وكنتم اثنتي عشرة جماعة - فعرفت كلّ قبيلة مكان شربها، وقلنا لكم: كلوا من المنّ والسّلوى، واشربوا من هذا الماء المتفجّر ودعوا ما أنتم عليه من الفسق، ولا تسرفوا في الإفساد في الأرض بل امتنعوا عن المعاصي.

﴿٦١﴾- واذكروا أيضًا- أيّها اليهود- يوم سيطر البطر على أسلافكم، فلم يؤدّوا حقّ الشّكر لله تعالى على نعمه، فقالوا لموسى: لن نصبر على طعام واحد -المنّ والسّلوى- فادعُ لنا ربّك ليخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقولها وقثّائها وثومها وعدسها وبصلها، فتعجّب موسى من ذلك، وأنكره عليهم فقال لهم: أتفضّلون هذه الأصناف على ما هو أفضل وأحسن، وهو المنّ والسّلوى؟ فانزلوا من سيناء وادخلوا أيّ مدينة من المدن فإنّكم ستجدون فيها ما تريدون، وبسبب ذلك البطر والعناد أحاطت بهؤلاء اليهود المذلّة والفقر والخنوع، واستحقّوا غضب الله عليهم لما ألفوه من العناد والعصيان، وما جروا عليه من الكفر بآيات الله وبقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحقّ الثّابت المقرّر. وقد جرّأهم على هذا الكفر والقتل ما رُكِّب في نفوسهم من التّمرّد والعدوان ومجاوزة الحدّ في المعاصي.

الآيات من 55 - 60

من أسوأ الأخلاق على الإطلاق الكِبْر والعناد

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

المعنى العام

ذكر الله تعالى في هذه الآيات صفات اليهود ليحذّرنا من صفات المغضوب عليهم التي يروّج لها اليوم في العالم بمنطق حريّة الإنسان، وحريّة المرأة، وحريّة الطفل، عبر نشر طريقة حديثة للتّعليم، يروَّج فيها للحريّة دونما اعتبار للقيَم - كالمناهج الأمريكيّة وطريقة الحياة الغربيّة- وغير ذلك.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

أي واذكروا أيضًا، يا بني إسرائيل، حين رجع موسى عليه السلام من الطور، ووجدكم قد عبدتم العجل، فأخذ منكم سبعين رجلًا من خياركم كي يطلبوا المغفرة، فلمّا سمعتم كلامي أنكرتموه وحرّفتموه، وقلتم لموسى عليه السلام : لن نؤمن أنّ هذا كلام الله حتّى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وهي صيحة من السّماء، وقيل هي نار- ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال : صُعِقَ بعضهم وبعضٌ ينظرون، ثمّ بُعث هؤلاء وصُعِقَ هؤلاء. ثمّ أحييناكم من بعد موتكم، وعشتم زمانًا بعد ذلك لعلّكم تشكرون هذه النعّمة، وتقومون بحسن الخدمة، فتقرّوا بربوبيّتي، وتصدّقوا برسلي، فلم تفعلوا.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

لمّا ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النّقم، شرع يذكّرهم أيضًا بما أسبغ عليهم من النّعم فقال : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ جمع "غمامة" وهو السّحاب الأبيض، سمّي بذلك لأنّه يغمّ السّماء - يواريها ويسترها-، ظُللوا به في التّيه ليقيهم حرّ الشّمس.

وقال قتادة: كان المنّ ينزل عليهم في محلّهم سقوط الثّلج، أشدّ بياضًا من اللّبن وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس، يأخذ الرّجل منه قدر ما يكفيه يومه، فإذا تعدّى ذلك فسد ولم يبق، حتّى إذا كان يوم سادسه يوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنّه كان يوم عيد، لا يشخص فيه لأمر معيشته، ولا يطلبه لشيء، وهذا كلّه في البريّة.

وعبارات المفسّرين متقاربة في شرح المنّ، فمنهم من فسّره بالطعام، ومنهم من فسّره بالشّراب، والظّاهر والله أعلم، أنّه

كلّ ما امتنّ الله تعالى به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك ممّا ليس لهم فيه عمل ولا كدّ. ولكن ليس هو المراد من الآية وحده، والدّليل على ذلك ما رُوي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: ﴿الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ للعَيْنِ﴾[1].

وأما ﴿السَّلْوَى﴾ فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: **"السلوى"** طائر شبيه بالسُّمَّاني يأكلون منه.

وقال قتادة: "السَّلْوَى" كان من طير، تحشرها عليهم ريح الجنوب، وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدّى فسد ولم يبق عنده، حتّى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنّه كان يوم عبادة لا يَشْخص فيه لشيء ولا يطلبه.

وقال السُّدي: لما دخل بنو إسرائيل التيه، قالوا لموسى عليه السلام: كيف لنا بماء ههنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المنّ، فكان ينزل على شجر الزّنجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السّماني أكبر منه، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطّير فإن كان سمينًا ذبحه، وإلا أرسله فإذا سمن أتاه ولا يمتنع منهم، فيذبحون ويأكلون لحمًا طريًّا، فقالوا: هذا الطّعام فأين الشّراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، فشرب كلّ سبط من عين، فقالوا: هذا الشّراب فأين الظِّل؟ فظلل عليهم الغمام، فذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾.

وقلنا لهم: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بمخالفتهم أمر نبيّهم وسوء أدبهم معه، حيث قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[2]، فعاقبهم تعالى بالتّيه أربعين سنة، يتيهون في مقدار خمسة فراسخ أو ستة، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث أوقعوها في البلاء والمحنة.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أمْرُ إباحةٍ وإرشادٍ وامتنانٍ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: أمرناهم بالأكل ممّا رزقناهم، فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البيّنات، والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات؛ ومن ههنا تتبيّن فضيلة أصحاب محمّد ﷺ على سائر أصحاب الأنبياء، في صبرهم وثباتهم، وعدم تعنّتهم مع ما كانوا عليه في أسفاره وغزواته، منها عام تبوك، إذ كانت في قيظٍ وحرٍّ شديد وجهد، فلم يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر، مع أنّ ذلك كان سهلًا على النّبيّ ﷺ، ولكن لمّا أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم فجاء على قدر مبرك الشّاة، فدعا الله فيه وأمرهم فملؤوا كلّ وعاء معهم، وكذا لمّا احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم سحابة فأمطرتهم فشربوا وسقوا الإبل وملأوا أسقيتهم، ثمّ نظروا فإذا هي لم تتجاوز العسكر. فهذا هو الأكمل في اتّباع النّبيّ ﷺ مع قدَر الله تعالى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يلومهم تعالى على نكولهم عن الجهاد، ودخولهم الأرض المقدّسة لمّا قدموا من مصر بصحبة موسى عليه السلام فأمروا بدخول الأرض المقدّسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل (يعقوب عليه السلام)، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فرماهم الله في التّيه عقوبة لهم كما ذكر تعالى ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[3]، وعلى أصحّ القولين إنّ هذه البلدة هي بيت المقدس، فكلوا من نعم ما فيها أكلًا واسعًا لأنّها مخصبة.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن سعيد بن زيد، كتاب: تفسير القرآن، سورة البقرة، باب: قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام...﴾، حديث رقم: ٤٤٧٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

ولمّا خرجوا من التّيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام فتحوا بيت المقدس، وأُمروا أن يدخلوا باب حِطّة: ﴿سُجَّدًا﴾ أي: شكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، وردّ بلدهم عليهم، وإنقاذهم من التيه والضلال. وقيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي ركّعًا، فدخلوا من قِبَل أستاهِهم - أدبارهم - وفسّره بعضهم: أنّ المراد في السّجود هنا الخضوع لتعذّر حمله على حقيقته.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال الأوزاعي: كتب ابن عبّاس رضي الله عنه إلى رجل قد سمّاه فسأله عن قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فكتب إليه: أن أقرّوا بالذّنب، وقيل: الانحطاط والتواضع لله. وقال الحسن وقتادة، أي: أُحطط عنّا خطايانا ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ فإن فعلتم ذلك غفرنا لكم الخطيئات، وضاعفنا لكم الحسنات. وحاصل الأمر أنّهم أُمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها. والشّكر على النّعمة عندها، فالمبادرة إلى ذلك من المحبوب عند الله تعالى، كما قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1] ولهذا كان رسول الله ﷺ متواضعًا عند النّصر، كما روي عنه ﷺ يوم الفتح، إذ دخل مكّة من الثنية العليا، خاضعًا لله ظاهرًا وباطنًا؛ حتّى إنّ عُثْنُونَهُ - لحيته - لَتَمَسُّ وَاسِطَةَ رَحْلِهِ شكرًا لله على ذلك.

ثمّ لمّا دخل البلد اغتسل وصلّى ثماني ركعات وكان ذلك ضحى، وقال بعضهم: هذه صلاة الضّحى، وقال آخرون: بل هي صلاة الفتح، فاستحبّوا للإمام وللأمير إذا فتح بلدًا أن يصلّي فيه ثماني ركعات عند أوّل دخوله، كما فعل سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه لمّا دخل إيوان كسرى صلّى فيه ثماني ركعات، والصّحيح أنّه يفصل بين كلّ ركعتين بتسليم.

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ معناه ما روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾[2]، فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ»[3].

وقولوا في دخولكم: شأننا حطّة، أي: شأننا الانحطاط والتّواضع لله، فإن فعلتم ذلك نغفر لكم خطاياكم، وسنزيد من امتثل أمرنا، وأحسن الأدب معنا، خيرًا كثيرًا، في الدّنيا والآخرة، فبدّل الذين ظلموا منكم قولًا غير الذي أمروا به، وقالوا بدل حِطّة: حِنطة، حبة في شعرة، فأنزلنا على الذين ظلموا عذابًا من السّماء قيل: هو الطّاعون، فمات منهم سبعون ألفًا في يوم واحد، بسبب فسقهم وتعدّيهم الحدود.

وحاصل ما ذكره المفسّرون وما دلّ عليه السياق، أنّهم بدّلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا بأن يدخلوا سُجّدًا فدخلوا يزحفون على أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: حطّة، أي: احطط عنّا ذنوبنا وخطايانا، فاستهزؤوا فقالوا: حنطة في شعيرة، وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة، ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه، بفسقهم وخروجهم عن طاعته. ولهذا قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ عن ابن عبّاس: كلّ شيء في كتاب الله من الرّجز يعني به العذاب. قال رسول الله ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْزٌ وَعَذَابٌ، عُذِّبَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[4].

(١) سورة النصر، الآيات: ١-٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٨.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: تفسير القرآن، سورة الأعراف، باب: ﴿وقولوا حطّة﴾، حديث رقم: ٤٦٤١.
(٤) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن أسامة بن زيد، كتاب: الألف، باب: ما أسند أسامة ابن زيد، حديث رقم: ٤٠٣.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

أي: واذكروا يا بني إسرائيل حين عطشتم في التّيه، فطلبتم من موسى السُّقيا، ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ﴾ التي أخذتها من شُعيب عليه السلام وورثها عن آدم عليه السلام، وكانت من آس الجنّة، فضرب ﴿الْحَجَرَ﴾ حجرًا طوريًّا يُحمل معكم، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا على عدد أسباطكم، فكلّ عين تجري إلى سِبط قد علم كلّ أناس مشربهم معيّنًا، لا يعدو أحد على أحد،﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ فكلوا من المنّ والسّلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كدّ، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ولا تطغوا بالنّعم فتفسدوا في الأرض بالمعاصي، فيكون ذلك مستوجبًا للسّلب بعد العطاء.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. غضب الله تعالى على من يؤوّل النّصوص الشرعيّة ليخرجها عن مراده سبحانه، وسبب هذا التّأويل الباطل هو اتّباع الهوى والأنا. كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]، قال رسول الله ﷺ: ((ومَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فليتبوأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)) [2].

٢. الكبر سبب العمى وإنكار الآيات البيّنات قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[3]

٣. العناد سبب هلاك الإنسان وهو من أسوأ الأخلاق التي تدمّر حياته وآخرته فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إنّ رسول الله ﷺ قال فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا: ((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ))[4].

٤. علّة الحياة كلّها التّعرف إلى أسماء الله تعالى تعلّقًا وتخلّقًا، وعبادته تعالى وحده، والتّحلّي بالأخلاق المحمّديّة.

٥. تذكير الأبناء بأيّام الآباء للعظة والاعتبار.

٦. نعوذ بالله من السّلب بعد العطاء.

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٤٦١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٤) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن أبي هريرة، النوع السابع والستون: ذكر الخبر المدحض قول من زعم أنّ هذا الحديث تفرد به سلمان الأغر، حديث رقم: ٥٦٧١، الحديث إسناده قوي.

من معجزات سيّدنا موسى عليه السلام : معجزة بعث جمهور من بني إسرائيل إلى الحياة بعد موتهم بالصّاعقة.

القصّة: روى ابن جرير عن محمّد بن إسحق، قال: لمّا رجع موسى عليه السلام إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسّامري ما قال، وحرّق العجل وذراه في اليمّ، اختار موسى عليه السلام سبعين رجلًا من خيارهم، وقال: انطلقوا إلى الله وتوبوا إليه ممّا صنعتم، واسألوه التّوبة على ما تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقّته له ربّه- وكان لا يأتيه إلا بإذن منه- فقال له السّبعون: يا موسى اطلب لنا أن نسمع كلام ربّنا، فقال: أفعل، فلمّا دنا موسى عليه السلام من الجبل وقع عليه الغمام حتّى تغشّى الجبل كلّه، ودنا موسى عليه السلام فدخل فيه، وقال للقوم: أُدنوا، وكان موسى عليه السلام إذا كلّمه الله وقع على جبهته نورٌ ساطعٌ لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضُرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتّى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودًا، فسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل، فلمّا فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى عليه السلام الغمام، فأقبل إليهم فقالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الرّجفة، وهي الصّاعقة، فماتوا جميعًا، وقام موسى يناشد ربّه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[1]، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السّفهاء منا؟ أي: إنّ هذا لهم هلاك، واخترتُ منهم سبعين رجلًا الخيّرُ فالخيّرُ، هل أرجع إليهم وليس معي منهم رجلٌ واحد؟ فما الذي يصدّقوني به ويمنّونني عليه بعد هذا؟ ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[2] فلم يزل موسى عليه السلام يناشد ربّه تعالى حتى ردّ إليهم أرواحهم، فكان موتهم عقوبة لهم، وبُعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم.

من معجزات سيّدنا موسى عليه السلام : معجزة إنعام الله على بني إسرائيل بتفجير اثنتي عشرة عينًا، بمجرّد ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه.

وذلك حين كانوا في التّيه، وطلبوا من موسى أن تكون لهم عيون جارية بعدد أسباطهم يشربون منها، فاستسقى لهم موسى عليه السلام فأمره الله بضرب الحجر بعصاه، ففعل، فأجرى الله العيون التي طلبوها؛ ويدلّ على هذه المعجزة قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

في الأمر والنّهي

- راجع قائمة طعامك وشرابك، وابتعد عن المشبوه؛ فإنّ بدائل الحلال كثيرة، واقتصر على الطيّب من الرّزق، ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[3]. فإنّ من الخبائث التي لا يجوز أكلها البزّيق وكلّ الحشرات وكذلك لا يجوز أكل الضّفادع والميتة والدّماء، ويستثنى من ذلك ميتتان ودمان: السّمك والجراد والكبد والطّحال؛ فعن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ: «أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ، وَدَمَانِ. فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»[4]، واحرص كذلك ألّا تأكل إلّا من كسبٍ حلال.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٧.
(٤) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عمر، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الحديث حسن، حديث رقم: ٥٧٢٣.

- احـرص اليـوم عـلى السُـنن الرّواتـب، وعلى أذكار اليـوم واللّيلة، والإكثار مـن الصّلاة على النّبيّ ﷺ وتطبيق خُلُق أو أكـثر من الأخلاق المحمّديّة، ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].
- اقرأ الألفاظ والأذكار الصحيحـة الـواردة في الصّلاة مـن أحـد كتـب صفـة الصّلاة الموثّقة بالأدلّة الصّحيحـة، وصحّـح ما عنـدك فيهـا مـن الأخطـاء، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[2].

في الأخلاق والآداب

تقاصرت بصائر بني إسرائيل فأراهم المعجزات عيانًا، ونفذت بصائر هذه الأمّة فكاشفهم بآياته سرًا، وبذلك جرت سُنَّتُه سبحانه، وكلّ من كان أشحذَ بصيرةً كان الأمر عليه أغمض، والإشارات معه أوفر، قال ﷺ: «أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَاخْتُصِرَ لِي الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا»[3].

التوجيهات:

احـذر أن يُفتح لـك باب رحمـة وعمـل صالح فتضيّعـه بتفريط منك ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

من الأخلاق المحمديّة : السّلامَةُ مِن العِنادِ والحَرَد

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن أسماءِ الله تعالى "**اللّطيف المَلِك الواسِع**".

التَّخلُّقُ باسم الله تعـالى "**اللّطيـف**": هـو بأن يكـونَ الإنسـانُ عَبـدًا لطيفًـا لا فظًّـا ولا غَليظًـا ولا عنيـدًا، لطيـفَ الطِّبـاعِ، ولطيـفَ المُعامَـلَةِ مَـعَ الآخرين.

وَالتَّخَلُّقُ باسم الله تعـالى "**المَلِـك**": هـو أن يَمْلِكَ نفسَـهُ وَهـواه، وَيُخالِـفَ مـا تُمليـه عليـهِ أهـواؤه إن لم يَكُـنْ ذَلِكَ في مَصْلَحَتِهِ، أو كان في اتّبـاع الهـوى ارتـكاب لمعصيـة.

وَالتَّخَلُّقُ باسم الله تعـالى "**الواسِـع**" هـو بأن يكـونَ واسِعَ الصَّدرِ رَحبَهُ، ويَتَقَبَّلُ آراءَ المُخالفينَ لَهُ، وَيستَمِعَ وَيَزِنَ الأُمورَ بِعَقْلِه. وَكَذَلِكَ أن يكـونَ سَريـعَ الرِّضـا إذا غَضِـبَ، ويَقبـلُ الاعتـذارَ ممَّن اعتَذَرَ مِنه، ولا يُعاتِـبُ وَيُفَنِّدُ الأخطاءَ بَـل يَتَجاوَز...

- "لـن أعتـذرَ! لـن أجعـلَه ينتصرُ مهـما كلّفَني الأمرُ! لن أصلّي! لن أفسحَ له الطّريـقَ ليمرَّ مِـن أمامي! لـن أقبـلَ القوانينَ! لـن أنسـحبَ مهـما كان! لا تُحـاولْ إقناعي! أنا أفضـلُ مِـن فُـلان! كلّ ما حَصَلَ بِسَـبِبِه!"

تلـكَ العبـاراتُ وغيرُهـا قـد تصـدرُ منّـا بـينَ الحـينِ والآخَـر، ونُخـدَع حـينَ نَظـنُّ أنّهـا دليلُ قـوّةٍ شَخصيّـةٍ أو علامـة انتصارٍ عـلى الآخَـر. ربّمـا نربحُ نِقاشًـا ونتغلّـبُ عـلى خصمِنـا (بغـير حـقّ) في مجـادلةٍ، ولكنّنـا نَخسرُ الكثيرَ بالمقابلِ كما قـال تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[4].

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٩.
(٣) رواه السيوطيّ في الجامع الصغير، عن عمر، كتاب وباب: حرف الألف، حديث رقم: ١١٦٦، الحديث حسن.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١٥.

- تَشبُّثٌ بالرّأي مِن دونِ هَدَفٍ وبلا وَعيٍ، رُدودُ فِعلٍ عَنيفةٍ، تَمادٍ في الإثمِ وَرَفضٌ عندَ مُحاولةِ إقناعِه أو المُحاورةِ معه... لا يريدُ هذا الإنسانُ الحُلولَ أو البَدائلَ، ولا يُصَدّقُ ما يُطرَحُ عليه مِن معلوماتٍ وحقائقَ. المنطقُ عنده غائبٌ، ولا يَستعملُ أدِلّةً أو حُججًا صائِبَةً. العُدوانيّةُ أسلوبُه والسَّلبيّةُ سُلوكُه، وَتَمَرُّدُه على الآخرينَ مُنفّر. يعشقُ المخالفةَ والتّصادمَ ولا يَستجيبُ للنُّصحِ والتّوجيهِ... هذا هو العِناد والتّحجّر الفكريّ. نسأل الله السّلامةَ منهما.

- العِنادُ هو حالةٌ مِن التّعبيرِ عَن رفضِ القِيامِ بِعَمَلٍ ما حتّى لو كانَ مُفيدًا، والإصرارُ على أمرٍ وَعَدَمُ التّراجُعِ عنه ولو كان مُضِرًّا. فَيُصِرُّ العنيدُ على خَطئِه ولو كان ما يَفعلُهُ عكسَ مَصلحتِه، وهو غيرُ مُستَعِدٍّ للاعترافِ بخَطَئِهِ، ولا يَتراجَعُ عنه، وَيُلقي اللومَ دائِمًا على الآخرينَ. فالعِنادُ يَكونُ دائمًا على مَقصَدٍ سَيّئٍ وَنَتيجتُه سَيّئةٌ. وقالَ رسولُ الله ﷺ: «وَيْلٌ لِلمُصِرّينَ الّذينَ يُصِرّونَ على ما فعلوا وهُم يَعلَمون»[1]، أي الّذينَ يُصِرّون على خَطَأِهم وهُم يعلمونَ أنّه خطأ، فلَهُم الوَيلُ.

- لنتَّعِظْ ممّا فَعَلَه إبليس فقد خَسِرَ رضا الله والجنّةَ بسببِ عنادِه. قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾[2] (كِبرٌ) ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[3]، وهنا انتقلَ إبليسُ مِنَ الكِبْرِ إلى الجِدالِ فإلى العِنادِ، فكانَتِ النّتيجةُ قولَ الله تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[4].
وكان بإمكانِه أن يقولَ "ربِّ اغفِرْ لي، وَتُبْ عليّ لأنّ اللعنةَ كانت إلى يومِ الدّين ولم تكن إلى أبدِ الآبدين" ولكنّه أصرَّ على موقفِه ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[5] فكَفَرَ مَعَ الكافِرين.

- أمّا فيما يتعلّقُ بالأبناء، فمِنَ الطّبيعيّ أن يَختبِروا حدودَ والدَيْهما، وينهالوا عليهما بطلباتٍ لا تنتهي، ويُصِرّون على موقفِهم المُعاكسِ لِرَغبةِ الوالدَيْنِ. ولكنّ المشكلةَ تبدأُ حين يَستجيبُ هؤلاءِ الآباءُ والأمّهاتُ لكلّ مطالبِ الأولادِ، مِن دونِ وضعِ أيّ حدودٍ لَهم، - وذلكَ لأسبابٍ عدّة: ربّما لِضيقِ وقتِهم، أو قلّةِ صبرِهم، أو تغيّبِهم عنِ المنزل، - وهذا سيؤدّي إلى نتيجةٍ واحدةٍ... وهي أنَّ الطّفلَ فهِمَ أنّه عبرَ سلوكِه هذا سيَخضَعُ له والداه، فيصبحُ عنيدًا شيئًا فشيئًا لأنّ نفسَه سيطَرت عليه. فَلْنُنْقِذْ أبناءَنا مِن هذا الخُلُقِ المَذموم.

- كَم مِنَ الأزواجِ ينامون وهم مُتخاصمون... كلٌّ منهما لا يريدُ التّراجعَ عن موقفِه، حتّى المخطِئ فيهم يتشبّثُ برأيِهِ ليُظهرَ قوّتَه فيقعُ النّزاعُ والخصامُ. وقد يقعُ ما يوجبُ الخِلافَ والنّزاعَ، ولكن لا بدَّ أن يكونَ له حدّه فلا تتجرّأُ المرأةُ على زوجِها فتَشتمُه ولا تنتقصُهُ ولا تصفُهُ بما يَكرهُ، ولا تَنبذُه بما هو عيبٌ وإن كانَ فيه، ولا تتبرّمُ ولا تحردُ، كي لا تنقلب الشّحناءُ البسيطةُ مشكلةً كبيرةً لا تُحلّ بسهولة. وكذلك الزّوج لا يكون منه إلّا المعاملةُ الحَسَنَةُ والكلامُ الطّيّبُ والاحترام لها ولعائلتها والتّجاوزُ عَنِ الأخطاء. "وخيرهما من يبدأ بالمصالحة"، ولا يجوز مُطلقًا أن يناما على خصومة.

(١) رواه أحمد في مسنده، عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، مسند: المكثرين من الصّحابة. مسند: عبد اللّه بن عمرو بن العاص، حديث رقم: ٦٥٤١، الحديث إسناده حسن.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٣٤- ٣٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

في السّيرة والشّمائل

في رجب من السّنة التّاسعة للهجرة النّبويّة، خرج رسول الله ﷺ لمحاربة الرّوم في غزوة سمّيت بغزوة تبوك نسبة إلى عين ماء يقال لها تبوك، وللغزوة اسم آخر معروف ومشهورة به وهو: غزوة العسرة، وذلك لصعوبة وشدّة الظّروف التي وقعت فيها أحداثها، من شدّة الحرّ وقلّة الماء، وبُعد المكان وقلّة المال والدّواب، وقد ورد هذا الاسم "العسرة" في القرآن الكريم في الحديث عن هذه الغزوة في سورة التّوبة، قال الله تعالى ﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾[1] ويصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظروف هذه الغزوة فيقول: «خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ، فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ[2] فَيَشْرَبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ»[3].

واستغرقت غزوة تبوك خمسين يومًا، وقد تحمّل فيها الصّحابة رضوان الله عليهم الكثير من المشقّة والتّعب، وبدأت معاناة المسلمين بسبب نقص الماء وشدّة الحرارة وقلّة الدّواب التي يركبونها، حتّى إن البعير الواحد كان يتناوب عليه الجماعة من الرّجال، واضطرّ بعضهم إلى أكل أوراق الشّجر ونحر الإبل ليشربوا ما في بطونها، وبعد أن بلغ بهم الجَهْد مبلغًا عظيمًا شكوا ذلك للنّبيّ ﷺ، واستأذنوه أن ينحروا بعض إبلهم التي يسقون عليها ليأكلوا منها.

ويصف أبو هريرة رضي الله عنه ذلك الموقف من غزوة تبوك وما حدث فيه من دلائل النّبوّة فيقول: لمّا كان غزوة تبوك، أصاب النّاس مَجاعة قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا (الإبل التي يستقي عليها)، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْعَلُوا»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ (الإبل التي يُحمل عليها ويُرْكَب)، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ (طعامهم)، ثمّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ (بساط من جلد)، فَبَسَطَهُ، ثمّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثمّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ» قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَؤُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»[4].

في السّلوك

الإشارة: الفرق بين من قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[5] فهو يريد أن يترقّى من مقام علم اليقين الى مقام عين اليقين فدافعه الحبّ والشّوق وهذا مطلوب ومرغوب فيه، وبين من قال ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[6] عنادًا واستكبارًا.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.
(٢) فَرْثُهُ: بقايا علف الحيوان وطعامه بعد أكله وبداية عملية هضمه في الجهاز الهضمي.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن عمر بن الخطّاب، كتاب: الطهارة، باب: وامّا حديث عائشة، حديث رقم: ٥٦٦، الحديث صحيح.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الإيمان، باب: من لقي اللّه بالإيمان، حديث رقم: ٢٧.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٥٥.

الإشارة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

لمّا طرحهم في متاهات الغُربة لم يرضَ إلّا بأن ظلّلهم، وبلبسة الكفايات جَللهم، وعن تكلّف التكسُّب أغناهم، وبجميل صنعه فيما احتاجوا إليه تولّاهم؛ فلا شُعُورُهم كانت تَطُول، ولا أظفارهم كانت تنبُت، ولا ثيابهم كانت تتّسِخ، ولا شعاعُ الشّمس عليهم كان ينبسط. وكذلك سُنَّتُه لمن حال بينه وبين اختياره، يكون ما يختاره سبحانه له خيرًا مما يختاره لنفسه.

الإشارة: اعلم أنّ الأرواح إذا تطهّرت من الأكدار، وتحرّرت من الأغيار، وأشرقت عليها الأنوار والأسرار، وكمل تطهيرها، وتمّت تصفيتها، كان صاحبها آية من آيات الله، وحجّة من حجج الله، إذا ضرب بعصا همّته القلوب القاسية أو الأنفس الأبيّة، لانت وانفجرت بالعلوم القدسيّة، كلّ واحد بما يليق به.

الإشارة: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ المناهل مختلفة، والمشارب متفاوتة، وكلٌّ يَرِدَ مَشْرَبه فمشربٌ عَذْبٌ فُرات، ومشربٌ مِلْح أُجاج، ومشربٌ صافٍ زلال، ومشرب رتق أوشال. وسائقُ كلّ قوم يقودهم، ورائد كُلّ طائفة يسوقهم؛ فالنّفوس تَرِدُ مناهل المنى والشّهوات، والقلوب ترد مشارب التّقوى والطّاعات، والأرواح ترد مناهل الكشف والمشاهدات، والأسرار ترد مناهل الحقائق بالاختطاف عن الكون والمرسومات، ثمّ عن الإحساس والصّفات ثمّ بالاستهلاك في حقيقة الوجود والذّات[1].

في الإعجاز العلميّ

قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2]

المنّ مادّة حلوة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس، والسلوى الطائر المعروف بالسمّان.

في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ ذكر لحقيقة علميّة كشفها العلم أخيرًا وهي أنّ الموادّ البروتينيّة التي تكون من أصل حيوانيّ كلحوم الحيوانات والطيور ومنها السمّان ﴿السَّلْوَى﴾ أفضل في تغذية الإنسان من بروتينيات البقول النباتيّة من حيث التمثيل الحيويّ واستفادة الجسم.

حين طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يدعو ربّه ليخرج لهم ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها فردّ الله سبحانه وتعالى، قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾؟ فكما أنّ المنّ أساسه مادّة سكّريّة أثبت العلم حديثًا أنّ الموادّ السكّريّة، وهي الأسرع في إعطاء الطاقة وهي من أهمّ أسباب قوّة النشاط والحركة لجسم الإنسان.

علم البيئة: توازن البيئة والتّلوث:

آيات الإعجاز:

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3].

وقال أيضًا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4].

---

(١) لطائف الإشارات للقشيري، سورة البقرة، الآية ٦٠، (٩٤/١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤١.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[1].

حقائق علميّة:

- كلّ شيء في الكون من الذّرة إلى أضخم المجرّات قائم على نظام محكم دقيق يربطه بسائر الموجودات ويتأثّر بها سلبًا وإيجابًا.
- تحتاج طبقة غاز الأوزون لأنّها تؤدّي دور المصفاة فهي تمتصّ الأشعّة ما فوق البنفسجيّة القاتلة للكائنات الحيّة.

التّفسير العلمي:

إنّ الإخلال بنظام الأرض وغلافها الجوّي وما تحويه - من حيوان ونبات وجماد- يؤثّر سلبًا ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2]، فقد حذّر الله تعالى الإنسان من إفساد هذا النّظام المحكم، لكنّ هذه النّداءات الإلهيّة لم توقف الإنسان عن تلويث محيطه الذي يعيش فيه برًّا وبحرًا وجوًّا.

فارتفاع نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون بسبب كثرة حرقنا للوقود الأحفوري يتسبّب في ارتفاع درجات الحرارة، فينتج عن ذلك تغيّر في توزيع الرّياح وسقوط الأمطار وتغيّر حرارة ومنسوب مياه الأنهار والبحار وملوحتها. ويُنسب إلى ذلك تغيّر المناخ.

ولم يكتف الإنسان بإفساد اليابسة وتلويثها، واستنزاف خيراتها بل جعل بحار العالم وأنهاره مزبلة للنّفايات ومستودعًا لبقايا معامله الذّريّة ومسرحًا لتجارب أسلحته الفتّاكة، فأثّر ذلك على الثّروة الحيوانيّة والنّباتيّة البحريّة.

وجه الإعجاز:

وجه الإعجاز في الآيات القرآنيّة دلالتها على أنّ الكون خُلق بقَدَر معلوم، وأنّ كلّ شيء فيه متوازن، وأنّ الإنسان هو سبب الإفساد في الكون، وهذا ما كشفته الدراسات العلميّة الحديثة في علم البيئة.

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ: "أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُه مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِرَارًا، وَمِنْ أَبِي بَكْرٍ مِرَارًا، وَمِنْ عُمَرَ مِرَارًا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: ((مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنْتَ تَهْدِينِي، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي، وَأَنْتَ تَسْقِينِي، وَأَنْتَ تُمِيتُنِي، وَأَنْتَ تُحْيِينِي، لَمْ يَسْأَلْ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ))، قَالَ: فَلَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ، فَقُلْتُ: أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعَتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ مِرَارًا، وَمِنْ أَبِي بَكْرٍ مِرَارًا، وَمِنْ عُمَرَ مِرَارًا؟، قَالَ: بَلَى، فَحَدَّثْتُهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: "بِأَبِي وَأُمِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ، هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتُ كَانَ اللهُ تعالى قَدْ أَعْطَاهُنَّ مُوسَى عليه السلام، فَكَانَ يَدْعُو بِهِنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مِرَارٍ، فَلَا يَسْأَلُ اللهَ تعالى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ[3]".

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.
(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.
(٣) رواه الطّبرانيّ في المعجم الأوسط، عن سمرة بن جندب، باب: من اسمه أحمد، حديث رقم: ١٠٢٨.